

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ من أعظم الأدعية الواردة وأجمعها للخير ذلکم الدعاء المبارك الذي اشتملت عليه سورة الفاتحة أفضلُ سور القرآن الكريم في قوله: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٢ ﴾ [الفاتحة].

فهذا دُعاء عظيم مبارك، بل هو أنفع الدعاء وأعظمه، وحاجة الناس إليه أعظمُ من حاجتهم إلى سائر الأدعية، ولهذا أُمرُوا بالدُّعاء به في كلِّ ركعة من صلاة، فالمسلم يقوله في كلِّ يوم سبع عشرة مرةً فرضاً واجباً، ولم يكن مثل هذا لأيِّ دعاء آخر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ١ ﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٢ ﴾ [الفاتحة]، فإنه إذا هداهُ هذا الصُّراط أعانه على طاعته وترك معصيته فلم يُصبه شرٌّ لا في الدنيا ولا في الآخرة، لكنَّ الذُّنوب هي من لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى في كلِّ لحظة، وهو إلى الهدى أحوجُّ منه إلى الأكل

والشُّرب. ليس كما يقوله طائفة من المفسِّرين: إنه قد هدام. فلماذا يسأل الهدى؟ وإنَّ المراد بسؤال الهدى: الثَّبات أو مزيد الهداية.

بل العبد محتاج إلى أن يَعْلَمَهُ رَبُّهُ ما يفعله من تفاصيل أحواله، وإلى ما يتولَّد من تفاصيل الأمور في كلِّ يوم، وإلى أن يُلْهِمَهُ أن يعمل ذلك، فإنه لا يكفي مجردُ علمه إن لم يجعله الله مريداً للعمل بعلمه، وإلاَّ كان العلم حُجَّةً عليه، ولم يكن مهتدياً، والعبدُ محتاج إلى أن يَجْعَلَهُ الله قادراً على العمل بتلك الإرادة الصَّالحة. فإنه لا يكون مهتدياً إلى الصُّراط المستقيم - صراط الذين أنعم الله عليهم من النَّبِيِّينَ والصَّادِقِينَ والشُّهداء والصَّالحين - إلاَّ بهذه العلوم والإرادات والقدرة على ذلك. ويدخل في ذلك من أنواع الحاجات ما لا يمكن إحصاؤه. ولهذا كان النَّاس مأمورين بهذا الدعاء في كلِّ صلاة لفرط حاجتهم إليه. فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى هذا الدعاء. وإنما يَعْرِفُ بعض قدر هذا الدعاء من اعتبار أحوال نفسه ونفوس الإنس والجنِّ والمأمورين بهذا الدعاء، ورأى ما في النفوس من الجهل والظلم الذي يقتضي شقاءها في الدنيا والآخرة، فيعلم أنَّ الله - بفضلِهِ ورحمته - جعل هذا

الدُّعاء من أعظم الأسباب المقتضية للخير المانعة من الشرِّ^(١). ومع ما لهذا الدعاء العظيم من مكانة وقدر إلاَّ أنَّ كثيراً من النَّاس قد يقرأ هذا الدعاء في سورة الفاتحة دون أن يستشعر أنَّه دُعاء، فما أحوج عوامَّ المسلمين إلى التَّنبيه إلى أنَّ هذا دعاءٌ عظيم أمر الرَّبُّ سبحانه وتعالى عباده أن يدعوه به. قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «فإذا تأمَّل العبد هذا، وعلم أنَّها نصفان نصفٌ لله وهو أوَّلُها إلى قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ونصفٌ للعبد دعاءٌ يدعوه لنفسه وتأمَّل أنَّ الذي علَّمه هذا هو الله تعالى، وأمره أن يدعوه ويكرِّره في كلِّ ركعة، وأنَّه سبحانه من فضله وكرمه ضمَّن إجابة هذا الدعاء إذا دعاه بإخلاص وحضور قلب، تبين له ما أضاع أكثر النَّاس»^(٢). وقال رحمه الله في رسالة لطيفة عظيمة النفع فيما ينبغي للمُعَلِّم أن يَعْلَمَهُ: «ومن أعظم ما تُنبِّهُهُ عليه التَّضرُّع عند الله والنَّصيحة، وإحضار القلب في دعاء الفاتحة إذا صَلَّى»^(٣).

وما أَحْوجَهُمْ كذلك إلى تعقُّل معناه، وفهم دلالاته ومعرفة كمال هذا الدعاء المبارك، وجمعه لخيري الدنيا والآخرة وأنه من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولهذا وجب على المسلم أن

(١): مجموع الفتاوى (١٤ / ٢٢٠-٢٢١)

(٢): الدرر السنية (٢٨/١٠)

(٣): الدرر السنية (١١٥/١)

يدعو الله به في كل ركعة من صلاته لضرورته إلى هذه الدعوة الجامعة المباركة.

وقد بين الله وجه كَوْن هذا الدعاء جامعاً لخيري الدنيا والآخرة، فقال: «أَمَّا جَمْعُهُ لخير الآخرة فواضح، وأَمَّا جَمْعُهُ لخير الدنيا فَلأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، والإيمان والتَّقوى هو الصُّراط المستقيم، فقد أخبر أنَّ ذلك سببٌ لفتح بركات السماء والأرض، هذا في الرِّزْق، وأَمَّا في النَّصر فقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٨]، فأخبر الله أنَّ العِزَّة تحصل بالإيمان وهو الصُّراط المستقيم، فإذا حصل العِزُّ والنَّصرُ وحصل فتح بركات السماء والأرض فهذا خير الدنيا» (٤).

وإنَّ خير ما يفتح للمسلم باب فهم هذه السُّورة وما اشتملت عليه من دُعاء عظيم جامع ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾» (٥).

(٤): الدرر السنية (١٠/ ٢٥)

قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (١)، قال الله تعالى: أثني عليَّ عبدي، وإذا قال: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٢)، قال: مَجَّدَنِي عبدي، وقال مرَّةً: «فَوَضَّ إِلَيَّ عبدي»، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٣)، قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٤) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٥)، قال: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل» (٥).

فإذا تأمل ذلك العبد، وعلم ما اشتملت عليه هذه السُّورة من الثناء على الله ﷻ وتعظيمه وما تضمنته من دعاء وسؤال وطلب من الله ﷻ، وأيقن بإجابة الله له، تبين له عظيم نفعها وأثرها، وكثرة فوائدها وعوائدها فإذا قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١)، وقف هنيهةً ينتظر جواب ربِّه له بقوله: «حمدني عبدي»، فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢)، انتظر الجواب بقوله: «أثني عليَّ عبدي»، فإذا قال: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٣)، انتظر جوابه بقوله: «مَجَّدَنِي عبدي»، فيا لذة قلبه وقرة عينه وسرور نفسه بهذا الفضل العظيم والنوال الكريم.

(٥): مسلم رقم (٢٩٥)

مكانة الدعاء الوارد في

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
(٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

إِعْدَادُ
عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ الْبَدْرِي

دارُ المِجْدَى